

وقد ذكر «السيوطي» هذا «الإيغال» في نوع «الإطناب»، بقوله: «وهو الإمعان. وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر، وردّ بأنه وقع في القرآن، من ذلك: «يا قوم، اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون» - سورة يس، الأيتان (٢٠، ٢١) -، فقوله: «هم مهتدون» إيغال، لأنه يتم المعنى بدونه. إذ الرسول مهتد لا مخالف، لكن فيه زيادة مبالغ في الحث على اتباع الرسل، والترغيب فيه» (٢٠).

فمن خلال علاقات الفواصل الأربع السابقة: «التمكين»، و«التصدير» و«التوشيح»، و«الإيغال»، ومن خلال أثرها في بلاغة القرآن الكريم يتضح أنّ لفافسة دورا بارزا في أنّها تسهم في الإعجاز عن طريق هذه العلاقات.

بلاغة الفواصل القرآنية

إنّ الفواصل في القرآن الكريم ذات أهمية بالغة في بلاغة القرآن الكريم، فهي محكّ القدرة، كما أنّ القافية - والله عزّ وجلّ المثل الأعلى - محكّ قدرة الشاعر، ففي بعض الأحيان نجد أنّ القليل من الشعراء يضطرونّ إلى القافية اضطرارا، ليجيئوا بها مكتملة للبيت، وإذا ذهبنا نبحث لها عن معنى أحيانا ذلك.

وليس في فواصل القرآن الكريم فاصلة واحدة جاءت لإكمال الآية إكمالا معيّنا، بل لكلّ فاصلة سرّها البلاغيّ، سواء عرفنا ذلك أم جهلناه، فالبلغ لو رفع كلمة واحدة من القرآن الكريم، وأدار لسان العرب على أن يأتي بأخرى تسدّ مسدّها لأعيان ذلك.

وللقرآن الكريم «مسحة خلابة عجيبة، تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي، ويراد بنظام القرآن الكريم الصوتي: اتساق القرآن الكريم، واتلافه في حركاته وسكناته، ومدّاته وغنّاته، واتصالاته وسكناته، اتساقاً عجيّباً، واتلافاً رائعاً، يسترعي الأسماع، ويستهوّي النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أيّ كلام آخر من منظوم ومثثور».

«ويراد بجمال القرآن الكريم اللغوي، تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن الكريم، في رصف حروفه، وترتيب كلماته ترتيباً يتضاهل دونه كلّ ترتيب ونظام تعاطاه

الناس في كلامهم».

«ولقد وصل هذا الجمال اللغوي إلى قمة الإعجاز، بحيث لو دخل شيء من كلام الناس في القرآن الكريم لاعتل مذاقه في أفواه قارثيه، واختل نظامه في أذان سامعيه».

«ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذاك النظام الصوتي، أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية، كانا سوراً منيعاً لحفظ القرآن الكريم من ناحية أخرى، ذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع، ويشير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم».

«وبذلك يبقى أبد الدهر سائداً على السنة الخلق، وفي أذانهم، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم، فلا يجرؤ أحد على تغييره وتبديله، مصداقاً لقوله سبحانه: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» - سورة الحجر، الآية (٩) - (٢١).

ويعد

لقد أسهمت الفواصل بدور فعال في إعجاز القرآن الكريم، وذلك من خلال التناسق الصوتي واللغوي، وجاءت الفاصلة وثيقة الصلة بالمعنى، حيث كان المعنى هو المراد، وتوافرت فيها جميع الخصائص الصوتية، التي تنشأ منها ظاهرة التوافق الموسيقي في الفواصل، وبذلك يصعب تحريك كلمة ووضع أخرى مكانها أو تبديلها بغيرها، وهذا هو سر إعجاز الفواصل، فكانت بمثابة السور المنيع والحصين لحفظ القرآن الكريم.

وإن حبك عناصر الجملة إنما يبدأ من التناسق الصوتي في الكلمات، ثم من التأليف التركيبي بين المفردات حينما تتكون منها الجمل.

فمن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم تكوين كلماته، من أصوات متلائمة الجرس، سهلة المقاطع، متوازنة الإيقاع، جميلة التأليف، وهذا جميعه ندركه في القرآن الكريم، كتاب المولى تبارك وتعالى الخالد على مر الأيام، وتوالي العصور، وإلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها، وصدق رب العزة حيث يقول: «كتاب أحكمت آياته» - سورة هود، الآية (١) - (١٠).